

أعضاء النطق ووظيفتها الصوتية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي

الأستاذة زهية مرابط

جامعة باجي مختار - عنابة

المقدمة:

يحدث الصوت اللغوي نتيجة حركات تتخذها أعضاء النطق، ويظهر الصوت في صورة ذبذبات، ويتطلب إصدار أي صوت لغوي أوضاعا معينة، ويساعد على إنتاجه الهواء والجهاز التنفسي. ويلاحظ أن أعضاء النطق تختلف فيما بينها؛ فبعضها متحرك (كاللسان) وبعضها الآخر ثابت (كاللثة والحنك الصلب). وعلى الرغم من ثباته، فإنه يشارك في إصدار بعض الأصوات اللغوية.

وارتبط الحديث عن مخارج الأصوات العربية وصفاتها بوصف جهاز النطق والأعضاء المكونة له. ومن بين المؤلفات القديمة التي كانت الرائدة في هذا المجال معجم العين للخليل بن أحمد؛ فقد تصدرها جميعا بمقدمته الصوتية، وبشرح بعض الأعضاء شرحا لغويا مرة، وبذكر الوظيفة الصوتية لمجموعة منها مرات أخرى. وكان من بين هذه الأجزاء ما يلي:

1 - الأسلة:

جاء في اللسان أن الأسل نبات له أغصان كثيرة ينبت بالقرب من الماء. ويطلق أيضا على الرماح، حيث اجتمع فيها الاعتدال والاستواء مع الدقة. وكل شيء كان طرفه محمدا عرف بالموَسَّل (كالسيف والسكين والسنان). ويقال خدَّ أسيل للينه وكونه أملس. وأما الأسلة فهي طرف السنان، تشتق منها صيغتان بضم العين وفتحها هما (أُسْل وأسْل)¹.

1 - ابن منظور، لسان العرب، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت (د.ت)، مادة (أسل). وينظر إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله، المعجم الوسيط، مادة (أسل).

الأسلة عند الخليل: «مستدق طرف اللسان»¹. يتبين من كلامه أن الأسلة تمثل أحد أجزاء اللسان، وقد نسب إليها الصاد والسين والزاي². ويرد نص ثان يشمل هذا المصطلح حين تحدث الخليل عن حروف الذلاقة، ويشارك في إنتاج هذه الأصوات أحد عضوين «طرف اللسان والشفيتين»³.

نلاحظ دقة الخليل في فصله بين منطقتين هما الأسلة والطرف. وإذا قورنت رؤية الخليل بما دوّن غيره من اللغويين قدماء ومحدثين، نجده ينفرد بذلك عدا ما أورده أحدهم من أن جانبي طرف اللسان يسميان بذلقه أو أسلته⁴.

2 - الثنايا:

يفيد المصدر (ثني) الشيء رد بعضه على بعض، ويشاركه الحدثان المزيّدان (تثنى واثني) في المعنى ذاته. وصيغ على وزن أفعال ومفاعل (أثناء ومثاني)، وهي طاقات الشيء وثنيته إذا صرفته عن حاجته. ويكون الثني في الوادي والجل، والمراد معاطف أحدهما. والثنية مصدر الفعل (ثنى): جعل الشيء اثنتين.

ترادف الثنية أحيانا العقبة في الجبل. قال أبو منصور: «العقاب جبال طوال بعرض الطريق، فالطريق تأخذ فيها، وكل عقبة مسلوكة ثنية، وجمعها ثنايا»⁵. ونجد معنى الاستثناء في مشتقات عديدة (الثوة) و(الثيان) و(الثنوى) و(الثيا)⁶. ويوصف الإنسان بطلاع الثنايا لصبره وتحمله متاعب الحياة ومشاقها، وتسمى واحدة الثنايا من السن ثنية، وعدتها عند الإنسان أربع، ثنتان منها تقع من فوق، وثنتان من أسفل، وقد كني عن جنس من الحيوان بالثني لأنه ألقى ثنيته⁷.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد 1967، ج 1، ص 65.

2- المصدر نفسه، ص. ن.

3- المصدر نفسه، ج 1 ص 57.

4- محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان (د.ت)، ص 60.

5- ابن منظور، اللسان، مادة (ثني).

6- المعجم الوسيط، مادة (ثني).

7- المرجع نفسه، المادة نفسها.

قال الخليل: «وأما سائر الحروف، فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين»¹.

تشارك الثنايا إلى جانب أعضاء أخرى في إصدار الأصوات. وعلى الرغم من ثباتها، فإن اللسان يعتمد عليها في النطق بالتاء أو الدال مثلاً².

3 - الجوف:

جوف الأرض المظمن منها، ويطلق كذلك على بطن الإنسان. وإصابة تلك المنطقة تسمى بالجائفة³. يستعمل الثلاثي (جاف) والمزيد، فيقال: أجاف الباب إذا رده وذكرت في الوسيط صيغ مزيدة (اجتاف، تجوف، واستجاف)، ومعانيها حسب الترتيب دخول الجوف، والاتساع، وينعت الرجل بالمجوف إذا كان كذاباً⁴.

واستعمل الخليل هذا المصطلح في أثناء حديثه عن مكان إصدار صوت الهمزة، قال: «فأما الهمزة، فسميت حرفاً هوائياً؛ لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هوائية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»⁵. وقال أيضاً: «والحروف الثلاثة الجوف لا صوت لها ولا جرس، وهي الواو والياء والألف اللينة، وسائر الحروف مجروسة»⁶.

يمثل الجوف⁷ عند الخليل «الجزء الذي يقع قبل الحلق، أي الحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين، وهو مصدر الصوت»⁸. ويراه مخرجاً للهمزة، على الرغم من عدم معرفته

1- الخليل، العين، ج 1 ص 57 و 58.

2- محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت (د.ت)، ص 140.

3- اللسان، مادة (جاف).

4- الوسيط، مادة (جاف).

5- الخليل، العين، ج 1 ص 64.

6- الخليل، العين، ج 1 تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ص 51.

7- ملاحظة: جاء في موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية للتهانوي أن (الجوف) يطلق في الطب على شيتين، أحدهما يسمى الجوف الأعلى وهو الحايوي لآلات التنفس وهو الصدر، والداني يسمى الجوف الأسفل، وهو الحايوي لآلات الغذاء. ينظر التهانوي، الموسوعة (المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون) بيروت 1966، مادة (جوف).

8- عبد الله بوخلخال، التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1988، ص 14.

بالوظيفة الصوتية للحنجرة. وشكل ذلك غموضا عند القدماء؛ لأنهم لم يستوعبوا جيدا حديث الخليل عن مخرجها.

4 - حرف اللسان:

يراد بالحرف ما كان طرفا أو جانبا، ومنه حرف الجبل أي أعلاه المحدد. ويصف الأصمعي الناقة بالحرف لضعفها. وصيغت من الأصل المعجمي أحداث لازمة ومتعدية، مجردة ومزيدة (حرف، وانحرّف، وتحرف، واحرورف) لإفادة معنى العدول. والتحريف التغير يلحق الكلمة أو غيرها. والحرف وصف لمن كثر ماله، وما صيغ من (حرف) على وزن فعلة فهو صناعة¹.

ذكر الخليل مصطلح حرف اللسان وهو مصطلح مركب، عندما تحدث عن ألف الوصل، لما كان البدء بالساكن صعبا استعين بألف الوصل، فيسبق المتحرك الساكن، وفي هذا تيسير لعملية النطق².

يطلق الحرف أيضا على أمور عدة: غلب استعماله في (العين) وقصد به كل الأصوات فلا نجد الخليل يذكر صوت الباء أو القاف مثلا إلا قليلا، وما يرد عنده هو حرف الباء أو حرف القاف. بذلك كان الحرف الرمز المكتوب للصوت اللغوي. وقد يكون الحرف بمعنى الكلمة - كحروف المعاني - حتى وهل وبلى. .. الخ.

بقيت دلالات هذا المصطلح التي ذكرها الخليل³، معروفة عند القدماء. وأضاف ابن جني معنى آخر لما سبق، فرأى أن «الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه»⁴. وبهذا، أفاد بالمصطلح مخرج الصوت اللغوي⁵. والحرف عموما كان رمزا للدلالة على الأصوات

1- اللسان، مادة (حرف).

2- الوسيط، مادة (حرف).

3- ينظر الخليل، العين، ج 3 ص 210.

4- ابن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هندواوي، ط 1، دار القلم، دمشق 1985، ج 1 ص 14.

5- ربما قارب ابن سينا المعنى الواد في هذا المقام بقوله هو «هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة والنقل تميزا في المسموع» ينظر رسالته أسباب حدوث الحروف، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1978.

اللغوية، وهذا نستنتجه جليا من قول ابن يعيش: «الحرف إنما هو صوت مقروح في مخرج معلوم»¹.

وإذا كان الحرف كذلك عند القدماء، فإن الصوت يمثل في نظرهم الجانب المسموع والمحسوس للغة، لذا كان المحدثون أكثر ميلا إلى استعمال مصطلح الصوت.

5 - الحلق:

جاء في اللسان أن الحلق نزع الشعر من على الرأس، وتشترك الصيغتان (حَلَقَ وحَلَقَ) في معنى الوجع. ويكون الجبل حالقا إذا انعدم به النبات. يعني الحالق من الأمكنة ما كان بعيدا ويسمى الشيء حلقة إذا استدار². تلك هي بعض المعاني اللغوية لكلمة الحلق.

أما اصطلاحا، فقد جاء في العين أن «مساغ الطعام والشراب ومخرج النفس من الحلقوم، وموضع المذبح من الحلق أيضا»³.

تظهر في تعريف الخليل وظيفة الحلق، زيادة على أنه ممر للنفس الآتي من الرئتين، يقوم باستساغة الأكل والشرب، إذا يبدو الحلق والحلقوم شيئا منفصلان عنده. ويكتفي الخليل بتحديد أقصاه، فجعله مخرجا للهمزة، ووصفها بأنها «صوت مهتوت في أقصى الحلق»⁴.

أما الأجزاء الباقية من هذا العضو، فقد حددها عند حديثه عن مخارج الأصوات العربية، وهما وسط الحلق وأدناه⁵ أو نهايته.

وقد بقيت معروفة مستعملة عند اللغويين بعده. ويشمل الحلق عند المحدثين المنطقة الجامعة بين الحنجرة والفم، وهو عبارة عن تجاويف في الحلق من اللسان، يعرف أيضا بالفراغ أو التجويف الحلقوي.

1- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط 2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1985، ص 83 و 84.

2- اللسان، مادة (حلق).

3- العين، ج 3 ص 48.

4- المصدر نفسه، ج 3 ص 349.

5- وتبعه سيبويه في ذلك، ينظر الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1982، ج 4 ص 433.

6 - الحنجرة:

عرفها الخليل بقوله: «الحنجرة جوف الحلقوم، والحنجور الحنجرة، قال العجاج¹:
في شعشان عنق يمحور حابي الحيود فارض الحنجور»².

إن ذكره لهذا العضو لا يعني علمه بما تؤديه الحنجرة من وظيفة صوتية، إذا قصر قوله على التعريف بهذا العضو، ولم يكن يعرف الوترين الصوتيين، وبالتالي انعدمت معرفته بوظيفتهما الصوتية.

ويجمع المحدثون على أن الحنجرة جزء يعلو القصبة الهوائية، ويقع في أسفل الفراغ الحلقوي، يشبهونها بحجرة ذات اتساع تكونها غضاريف أساسية³:

«- غضاريف مفردة، وهي الغضروف الدرقي والخلفي ولسان المزمار.

- ثلاثة أزواج أخرى من الغضاريف هي الغضروفان الهرميان والغضروفان القرينيان والغضروفان الوتريان»⁴.

7 - الشجر:

الشجر⁵ بفتح الجيم جمع لشجرة من النبات، وسمي كذلك لأن بعض أغصانه متداخل في بعض، والأرض شجرة وشجاء إذا كثر شجرها.

وقيل عن الوادي أشجر وشجير ومشجر⁶. وتستعمل كلمتان (مشجر ومشجرة) للدلالة على موضع ينبت به الشجر الكثير، وقد كان تشابك عيدان الهودج بعضها في بعض مدعاة لتسمية المركب مشجرا وجمعه مشاجر، واشتجر القوم إذا تخالفوا.

1 - ديوانه، ص 227.

2 - العين، ج 3 ص 327.

3 - ينظر المبرج، علم الأصوات، تعريب عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب القاهرة 1985، ص 44.

4 - تغريد السيد غير، دراسات صوتية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة 1980، ج 1 ص 107.

5 - انظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 ص 64، وابن يعيش، شرح المفصل، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، ج 10 ص 130.

6 - الاسترادي، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهد للعالم عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب، حققهما وضبط غريهما وشرح مبهمهما محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ج 3 ص 262.

وقد ذكر ابن منظور معانٍ عديدة لكلمة الشجر بتسكين الجيم، كان منها: مفرج الفم، مؤخره، وقيل هو: الصامغ، وما اتفتح من منطبق الفم، وملتقى اللهزمتين وما بين اللحييتين¹.

وذهب الخليل إلى تسمية (الجيم والشين والضاد) شجرية لأن مخرجها شجر الفم أو مفرجه².

8 - الشفتان:

يقال شففه عن أمر إذا شغله، والماء المشفوه (على وزن مفعول) هو الذي يكتر طالبوه من الناس، فيسببون قلته وندرته، وشفه أحدنا المال إذا أنفذه وأفناه. شافه البلد إذا أشرف على الوصول إليه واقترب منه. وكل ما وقع على شفة شيء فقد وقع على حرفه كشفة الجبل³. وجاء في الوسيط أن شفة الإنسان «الجزء اللحمي الظاهر الذي يستر الأسنان»⁴.

ولما كان مخرج الأصوات الثلاثة الباء والميم والواو من الشفتين، فقد نسبت كلها إليها. وقصر الخليل وظيفتها الصوتية على هذه الأحرف دون غيرها بقوله: «لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصراح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط»⁵.

وكان الخليل يقصد بقوله (الفاء والباء والميم)، غير أن الفاء صوت شفوي اسناني. وذكر في موضع آخر اشتراك الواو والميم في المخرج الشفوي.

وبين سيبويه مشاركة إحداها بالإضافة إلى عضو آخر في تكوين بعض الأصوات، ورد في الكتاب أن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى عضوان أساسيان لتكوين صوت الفاء⁶.

1 - تجمع الكلمة أيضا على شجرات وأشجار، وذكر سيبويه جمعا آخر هو (شجرا).

2 - لأنه كثير الشجر.

3 - اللسان، مادة (شجر).

4 - ينظر العين، ج 1 ص 65.

5 - اللسان، مادة (شفّه).

6 - الوسيط، مادة (شفّه).

وتشارك الشفتان في عملية النطق بالصوت، وذلك باتخاذها شكلا معينا كالانطباق للنطق بالميم، والاستدارة للنطق بالضممة والواو¹.

وفائدة الشفتين جلية، إذ كان أبو الأسود الدؤلي يستعين بحركتهما لوضع النقط الإعرابي على الحروف. قال لكتابه: «إذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه، وإذا ضمنت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فانقط نقطة تحت الحرف». ومن هنا يتبين الدور الأساسي للشفيتين². فالفتح والضم والكسر أوضاع مختلفة يساعد كل منها على نطق بعض الأصوات.

9 - طرف اللسان:

يصير الشيء طرفا عند تطرفه. وتستعمل كلمة (الطرف) بفتح الراء فتكون بمعنى المنتهى، وقد تفيد كذلك الناحية والجانب³.

قال الخليل: «ولا ينطلق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون»⁴. وطرف اللسان حسب هذا النص، ما قارب النهاية، وتقتصر وظيفته الصوتية على النطق بهذه الأحرف. ويمثل الطرف عنده منطقة متميزة عن باقي أجزاء اللسان، إلا أن هناك من يوافقه وهناك من يراها الدلق نفسه⁵، أو تشمله مع نهاية اللسان ليقابل الجزء كامله اللثة⁶. ويبقى من أصحاب الوجهة الحديثة من يوافق الخليل في فصله بين الطرف والدلق⁷.

1 - العين، ج 1 ص 57.

2 - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 433.

3 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 18.

4 - محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، ص 61.

5 - اللسان، مادة (طرف)، والوسيط، المادة نفسها.

6 - الخليل، العين، ج 1 ص 57.

7 - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي (د.ت). ج

1 ص 200.

10 - العقدة (أقصى اللسان):

الضبط العكدة الذي صلب لحمه، واستعكد لما نلجأ إلى جحر يحتمي به. والعقدة اصطلاحاً «أصل اللسان وغدته»¹ وأورد ابن منظور اللفظة بضم العين وتسكين الكاف غير أن معانيها متعددة، منها عقدة أصل اللسان ومعظمه ووسطه².

11 - الغار (الحنك الأعلى، قبة الحنك):

يفيد غور الشيء قعره، وهو العمق والبعد أيضاً، وذكر صاحب اللسان عن القوم أنهم غاروا غورا وغؤورا. «أغاروا وغوروا وتغوروا، أتوا الغور». ويدل لفظ الغار على المطمئن من الأرض، وقيل يشبه الكهف في الجبل، والجمع الغيران. ويسمى المكان الذي يأوي إليه الوحش غارا، تصغيره غوير. غار الماء غورا ذهب في الأرض وسفل فيها.

وغارت الشمس عند مغيبها، غور الشيء كـ (غار)، فهما يتفقان من حيث المعنى³. واصطلاحاً، تطلق كلمة الغار⁴ على الأخدود الذي بين اللحين، ويقال هو داخل الفم⁵.

خص الخليل أحد أجزاء الحنك الأعلى بلفظ الغار الأعلى، واكتفى بذلك غير ذاك الباقي منها. ورد هذا المصطلح حين وصف مخرج بعض الأحرف، قال: «والطاء والتاء والذال نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى»⁶. وقال أيضاً: «وانقضت بالحمارة إذا ألزقت طرف لسانك بالغاز الأعلى، ثم صوت بحافتيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه»⁷.

1 - محمود السعمران، علم اللغة، ص 138 و 139، وينظر أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ط 2، دار عالم الكتب 1981، ص 86.

2 - كمال بشر، الأصوات العربية، ص 60.

3 - الخليل، العين، ج 1 ص 219.

4 - اللسان، مادة (عكد).

5 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 70.

6 - المرجع نفسه، ص 70.

7 - المرجع نفسه، ص 70.

أورد هذا المصطلح أيضا عند وصفه لصوت الطعطة، فهو «حكاية صوت اللاطع والناطع والتمطق إذا أُلصق لسانه بالغار الأعلى، ثم لطع من طيب شيء يأكله أو كان أكله فذلك الصوت الطعطة»¹.

ربما قصد الخليل بتسميته هذه الجزء المقعر من الحنك لإفادة (الغار) هذا المعنى. أما غيره من اللغويين القدماء، فقد أشار للمنطقة بالحنك الأعلى².

ويتضح مما قدمه المحدثون أن الحنك الأعلى (أو سقف الحنك) له أقسام عدة، يشارك كل قسم، بالإضافة إلى عضو آخر من أعضاء النطق في إنتاج صوت لغوي. هذه الأقسام يبدأها إبراهيم أنيس بالأسنان، ثم الأصول ووسط الحنك أو الجزء الصلب والجزء الرابع هو اللهاة³. ويختلف ترتيب هذه الأقسام عند اللغويين حيث يجعل بعضهم اللثة أو أصول الأسنان العلوان كقسم أول، والقسم الثاني هو الغار يمثل الجزء الصلب من سقف الحنك، يتخذ شكلا محدبا ويكون محززا. أما القسم الثالث فيسمى الطبق، ويشمل الجزء الرخو من سقف الحنك قد يتحرك أحيانا، وتدرك رخاوته كلما حاولنا ملامسته باللسان، وينتهي أخيرا باللهاة⁴، ويضيف بعضهم خلف اللثة مباشرة منطقة تسمى الجزء الأمامي من الغار هو منطقة ما قبل الغار⁵.

يتصل الحنك الأعلى باللسان مباشرة، ثم إنه من خلال هذا الاتصال يعمل على إصدار بعض الأصوات، كما يشارك الحنك الصلب في تحديد بعض صفات مجموعة منها كالإطباق⁶ أما الحنك الرخو أو اللين⁷ فبوساطة عملية الغلق والفتح، يحدد مجرى الهواء إن كان من الأنف أو الفم وينسب إلى أحد المجريين⁸.

1 - اللسان، مادة (غور).

2 - ذكر في الوسيط أنه يطلق أيضا على شجر ينبت بسواحل الشام، اتخذ الرومان قديما إكليلا لتتويج القائد والشاعر المفلح، ويجمع على غيران ن ويسمى الهجوم على العدو غارة.

3 - اللسان، مادة (غور).

4 - الخليل، العين، ج 1 ص 65.

5 - المصدر نفسه، ج 5 ص 51.

6 - المصدر نفسه، ج 1 ص 89.

7 - ابن جني، سر الصناعة، ج 1 ص 46، وابن يعيش، شرح المفصل، ج 10 ص 125.

8 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 18.

كما يساعد الحنك الرخو على إنتاج بعض الأصوات كالكاف والكاف، كلما انحصر النفس في مواضع منه¹.

12 - اللثة:

يرى النحويون أن اللثة أصلها لثية والفعل منها لثى بمعنى ندى وابتل. تجمع اللثة على لثات ولثين ولثى. واللثى سائل من ماء الشجر².

اللثة هي اللحم الذي تنغرز فيه الأسنان ويحيط به. أما وظيفتها الصوتية، فتظهر في عدها مخرجا لأصوات ثلاثة الثاء والذال والظاء، قال الخليل: «والظاء والذال والطاء لثوية لأن مبدأها من اللثة»³.

وتوجد خلف الأسنان العليا أو الفك الأعلى مباشرة، تعد الجزء الأمامي من الحنك الأعلى، يميزها الثبات إذا قيست بأعضاء النطق، وتوصف الأصوات الناتجة عنها (كالطاء والنون واللام) باللثوية أو السنخية⁴.

13 - اللسان:

يعد اللسان أحد الجوارح الخمس، وقد خص بوظيفة الكلام، وتحمل المعنى ذاته الصيغة المجردة (لسن) والمزيدة (لاسن). واللسن بتحريك السين هو الفصاحة، واللسن اللغة. يقال: تكلم بلسان قومه إذا استعمل لغتهم. ويوصف الشيء بالملسّن عندما يأخذ (الجزء) طرفه شكل اللسان. وكثيرا ما يكتفى عن اللغة باللسان، والملسون من الناس من حاد عن قول الحق⁵.

وهو أهم عضو يساعد على عملية النطق، ربما كان له الدور الأساس للقيام بهذه الوظيفة الصوتية. وزيادة على أنه وسيلة للذوق والبلع، فهو عضو مرن كثير الحركة بدليل

1 - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 25 و 26.

2 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 85.

3 - محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، ص 59.

4 - للحنك اللين مصطلحات أخرى (كهف الحنك أو أقصاه). ينظر محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، ص 59.

5 - المايرج، علم الأصوات، ص 59.

عدم لزومه وضعاً واحداً، يتخذ أشكالاً عديدة كلما انتقلنا من نطق صوت إلى نطق آخر، لذا ورد مصطلح اللسان غير مرة في العين.

وبعد أن قابله الخليل بالمفصل¹، صرح بأنه يشمل الظاهرة اللغوية المنطوقة. فعبارته «اللسان ما ينطق»² نسبت فيها اللغة إلى هذا العضو، وذلك دليل أهميته، مما دفع علماء اللغة - قدماء ومحدثين على حد سواء - إلى تسمية اللغة باللسان سواء أكان عربياً أم غيره.

وقد ركز الخليل على إبراز أجزائه عند الحديث عن مساهمة كل منها في النطق: العكدة، والحرف، والظهر، والطرف، والأسلة، والذلق، والخافة، وكان آخر مصطلح خص به أحد أجزاء اللسان هو ذلك. فعند تحديد مخرج (الراء واللام والنون) ونسبها للذلق علل «أن مبدأها من "ذلك"»³ اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان»⁴.

يمكن القول بعد هذه التعريفات بأجزاء اللسان الواردة في العين أن من القدماء من ذكرها نفسها، ومنهم من أورد الجديد من المصطلحات المقابلة.

فلو عدنا إلى باب الإدغام بالكتاب⁵ أو المقتضب⁶ لوجدنا أقصى اللسان، وسط اللسان. وسأوى ابن الجزري بين مفهومي طرف الشيء وذلقه عندما قال: «إذ طرف كل شيء ذلقه»⁷

ويتفق بعض المحدثين على تحديد هذه الأجزاء ووصفها؛ فطرف اللسان هو الجزء المقابل للثة وأحياناً يتحرك باتجاه أعضاء أخرى كالأسنان.

أما مقدمته، فيطلق عليها الوسط أحياناً، تستلقي لتلامس الحنك الصلب. وإن كانت في حركة، لامست أقصى الحنك أو الحنك اللين. والجزء الثالث يمثل المؤخرة أو أقصاه،

1 - محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، ص 59.

2 - اللسان، مادة (لثي)، والوسيط، مادة نفسها.

3 - الخليل، العين، ج 1 ص 65.

4 - محي الدين رمضان، في صوتيات العربية، ص 60.

5 - اللسان، مادة (لسن)، والوسيط، مادة نفسها.

6 - الخليل، العين، ج 7 ص 126.

7 - المصدر نفسه، ج 7 ص 256.

ويقابل الحنك اللين ويتحرك مقابل اللهاة¹. ويبقى آخر جزء منه، وهو «أصل اللسان ويشكل الحائط الأمامي للحلق»².

وطرف اللسان عند بعض المحدثين يمكن أن يكون أسلة أو ذلقا من اتخاذه وضعاً معيناً «فيسمى طرف اللسان أسلة حين تنطبق حافتا اللسان على النطع، ويسمى طرف اللسان ذلقاً أو ذولقاً حين يكون متحركاً»³

14 - اللهاة:

لها يلهو لهوا، إذا لعب وشغل عن أموره، ولها وتلهّى بالشيء إذا شغل به وأولاه كل اهتمامه. يقال: تلهى عنه إذا نفر منه وابتعد عنه، واللّهوة واللّهوة كمية الحبوب التي تلقى في الرحي للطحن، وتفيد كل منهما معنى ثانياً هو العطايا⁴.

واللهاة⁵ تجمع على لها ولهوات، موضعها أقصى الفم «وهي لحمة مشرفة على الحلق»⁶. وقد ذكر الخليل عضوين هما:

1 - «التغغ: وهو موضع بين اللهاة وشوارب الخنجر»⁷.

2 - «واللغنون واللغائين من نواحي اللهاة مشرف على الحلق»⁸.

والوظيفة الصوتية لهذا العضو تتمثل في أنه مخرج لصوتي القاف والكاف⁹. ويقصد بأقصى الفم نهاية الحنك اللين، وصفه هذا يقارب كثيراً ما قدمه المحدثون. وزيادة على ما سبق، تمتاز اللهاة بالحركة وتقابل مباشرة عكدة اللسان، وتساعد على حدوث صوت القاف¹⁰.

1 - ربما كانت هذه الكلمة لغة في (ذلق).

2 - المصدر نفسه، ج 1 ص 67.

3 - سيبويه، الكتاب، ج 4 ص 433.

4 - المرید، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت (د.ت)، ج 1 ص 193 و 221.

5 - ابن الجزري، النشر، ج 1 ص 200.

6 - محمود السعرا، علم اللغة، ص 138 و 139.

7 - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 86.

8 - حنفي بن عيسى، محاضرات في النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 128.

9 - اللسان، مادة (لها).

10 - قال عنها ابن منظور إنها: لحمة حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان.

15 - النطق:

«النطق ما يتخذ من الأدم وتصحيحه كسر النون وفتح الطاء، يجمع على أنطاع والنطع، مثل فخذ وفخذ. وقال أيضا:

وهو ما ظهر من الغار الأعلى، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الخليقاء، وفيها آثار كالتحزيز، ويجمع على نطوع، ومنهم من يقول للأسفل والأعلى نطعان، والتنطع في الكلام تعمق واشتقاق»¹. وذكر صاحب اللسان لغات عديدة هي: النطع، والنطع، والنطع، والنطع². ويرى الخليل أن «الطاء والتاء والذال نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى»³.

ومما تقدم من تعريفات، فإن هذا الجزء أقرب ما يكون إلى أصول الثنايا من الحنك الأعلى، والفكرة نفسها بينها إبراهيم أنيس⁴.

الخاتمة:

تحدث الخليل عن جهاز النطق، وخاصة عن اللسان وأجزائه بإسهاب؛ لأنه عضو مرن كثير الحركة، وأبرز وظيفة هذه الأجزاء في إصدار الأصوات اللغوية، فعرف العكدة وذكر ظهر اللسان وطرفه وحافته، مركزا على مصطلح الذلق ومشتقاته.

أما الأعضاء الأخرى، فهي الجوف والحنجرة واللهاة والحلق والنطع، فحدد مناطق وجود بعضها؛ فاللهاة مثلا موضعها أقصى الفم، ووصفها بأنها لحمية مشرفة على الحلق. وقد تكرر ذكر هذه المصطلحات عند القدماء، فرددوها نفسها؛ لأنها أفادت المعنى وأوضحوا بعضها مع الاستشهاد بنصوص كاملة للخليل، خاصة عند سيبويه والمبرد وابن يعيش.

1 - الخليل، العين، ج 4 ص 88.

2 - المصدر نفسه، ج 4 ص 349.

3 - المصدر نفسه، ج 4 ص 419.

4 - المصدر نفسه، ج 1 ص 65.

ولما كانت أغلب المصطلحات أوضح في الذهن وأقرب للمنال، فقد استعملها المحدثون في بحوثهم الصوتية، فترددت في مؤلفاتهم، غير أن إفادتها المعنى لم يمنع هؤلاء العلماء من صياغة مصطلحات جديدة على قلتها.

